

الحياء... والحجاب

الحياء غريزة طبيعية ، خلقها الله - سبحانه وتعالى - في طباع الإنسان ، سواء أكان رجلاً أم امرأة ، أو طفلاً مميزاً ، وهذه الغريزة الطبيعية ، التي هي من فطرة الله - عز وجل - التي فطر عليها الإنسان ، تنمو سلباً أو إيجاباً ، وفقاً لنشأة الطفل فيتأثر بالبيئة التي نشأ فيها ، وآبائه أو الأشخاص الذين تولوا تربيته ورعايته ، والقيم الأخلاقية التي علموه إياها ، وما شاهده فعلاً من هذه القيم في سلوك الذين يتعامل معهم أو ممن يعتبرهم قدوة له ، من الأشخاص البارزين في المجتمع .

وقد جاء لفظ " الحياء " مرة واحدة في القرآن الكريم في سورة القصص ⁽¹⁾ ، عندما حكى الله سبحانه وتعالى ، قصة سيدنا موسى عليه السلام ، فقال تعالى : " فسقى لها ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير . فجاءته إحدىاهما تمشى على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين " .

وأحاديث الرسول ﷺ كثيرة في الحث على الحياء نشير منها إلى مايلي ⁽²⁾ :

- عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال :
- " الإيمان بضع وسبعون شعبة والحياء شعبة من الإيمان " ⁽³⁾
- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ :
- " الإيمان بضع وسبعون أو وستون شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان " .
- عن الزهري ، عن سالم ، عن أبيه ، سمع النبي ﷺ رجلاً يعظ أخاه في الحياء . فقال :
- " الحياء من الإيمان " .

(1) الآيتان 24 ، 25

(2) صحيح مسلم ج 1 ص 63 ، 64 باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان

(3) أي : خصلة .

الحجاب الشرعي للمرأة المسلمة

- عن قتادة ، قال : سمع أبا السوار يحدث ؛ أنه سمع عمران بن حصين يحدث عن النبي ﷺ أنه قال : " الحياء لا يأتي إلا بخير "
- أن أبا قتادة حَدَّثَ ؛ قال: كنا عند عمران بن حصين في رهط منا ، فقال : قال رسول الله ﷺ " الحياء خير كله " قال أو قال : " الحياء كله خير..... " .
- عن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال :
- " استحيوا من الله حق الحياء ، قلنا : يا رسول الله إنا نستحيي والحمد لله .
- قال : " ليس ذاك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى (الحواس من بصر وسمع ولسان) والبطن وما حوى (المطعوم والفرج) رواه الترمذى وأحمد والحاكم .
- وقد يتساءل قارئ عن علاقة الحياء بالحجاب ، وأقول له إن العلاقة وطيدة متينة ، فالحياء يدفع المرأة دفعا إلى عدم إظهار عورتها ويدعوها إلى التمسك باحتشامها وارتدائها الملابس التى أمر بها الإسلام بألا تصف ولا تشف وتغطى جميع جسمها إلا الوجه والكفين .
- والحياء يدفعها أيضا إلى عدم الخضوع بالقول أو الفعل أمام الأغراب من الرجال ، وإلى تجنب الزينة في الوجه أمامهم ، فتصرفاتها هذه تبعد الشبهات عنها ، وتصرف عنها من في قلبه مرض ، والحياء من الله ، يدفع المرأة إلى طاعته وعدم معصيته ، لنعمه العظيمة التى أنعم بها علينا ، ومن التقصير الشديد مقابلة الجميل والإحسان ، بالعصيان وارتكاب المحرمات .
- وحسبنا ما رواه القرآن الكريم في الآيتين / 24 ، 25 من سورة القصص ، فسيدينا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، عندما وجد الفتاتين في حاجة إلى المساعدة ، لم يتردد في تقديم يد العون إليهما ، ثم انصرفا وانصرف هو إلى حال سبيله ، يدعو الله عز وجل دعاء فيه بلاغة ويتضمن رغم اعترافه بالفقر ، إلا أنه يعترف - في الوقت نفسه - أنه يعيش في خير من الله ، وأن الله أفاض عليه من الخير ولكنه يطمع في المزيد من فضل الله وبركته وخيراته ، " وأنه عرض بالدعاء ولم يصرح بالسؤال ، وأن إحدى الفتاتين جاءت تمشي على استحياء ، أي بأدب ووقار ، " وقيل : جاءت ساترة وجهها بكم درعها ؛ قاله عمر بن الخطاب ⁽¹⁾ " .

(1) الجامع لأحكام القرآن ج13 ص 270 .

الحجاب الشرعي للمرأة المسلمة

"وروى أن موسى عليه السلام لما جاءته بالرسالة قام يتبعها ، وكان بين موسى وبين أبيها ثلاثة أميال ، فهبت ريح فضمت قميصها فوصفت عجيزتها فتخرج موسى من النظر إليها فقال: أرجعني خلفي وأرشدني إلى الطريق بصوتك، وقيل : إن موسى قال ابتداء : كوني ورائي فإني رجل عبراني لا أنظر في أدبار النساء ، ودليني على الطريق يمينا أو يساراً ، فذلك سبب وصفها (له) بالأمانة ، قاله ابن عباس (1) ."

فغريزة الحياء ، تدفع الإنسان ذو الذوق الرفيع والحس المرهف إلى تغطية جسده ، وعدم إظهار عورته ، وهذا ما يعمل الشيطان جاهداً على نقيضه ، وهذا ما سعى إليه عند وسوسته لآدم وحواء ع وذلك في قوله سبحانه وتعالى :

﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَ تَيْهَمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينَ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ۝٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ۝٢١﴾ فَذَلَّهُمَا بَعْرُورٌ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝٢٢﴾ الأعراف: ٢٠ - ٢٢ .

وهذه الآيات التي تقص ما حدث لكل من أبينا آدم وأمنا حواء عبرة لأولى الألباب ، ليحذروا من وساوس الشيطان ، ويتجنبوا إظهار ما أمر الله بستره ، ولا يستمعون إلى شياطين الإنس والجن ، الذين يبررون ادعاءاتهم بحجج باطلة ، وأسانيد ما أنزل الله بها من سلطان ، ويقول القرطبي :

"وفي الآية دليل على قبح كشف العورة ، وأن الله أوجب عليهما الستر ؛ ولذلك ابتدرا إلى سترها ، ولا يمتنع أن يؤمرا بذلك في الجنة ، وقد حكى صاحب البيان عن الشافعي أن من لم يجد ما يستر به عورته إلا ورق الشجر لزمه أن يستتر بذلك .." .

ونهى رسول الله ﷺ أن يتجرد المرء من ملابسه ، حتى ولو كان خالياً ، استحياء من الله عز وجل ، فقد روى عن بهز بن حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه عن جده قال : (3)

(1) المرجع السابق ص 271 .

(2) الجامع لأحكام القرآن ج 7 ص 181 .

(3) الجامع لأحكام القرآن ج 12 ص 224 ، 225 .

الحجاب الشرعي للمرأة المسلمة

قلت يا رسول الله ، عوراتنا ما نأتي منها وما نذر ؟ قال : " احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك " . قال : الرجل يكون مع الرجل ؟ قال : " إن استطعت ألا يراها فافعل " . قلت : فالرجل يكون خاليا ؟ فقال : " الله أحق أن يُستحيا منه من الناس " . وقد ذكرت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رسول الله ﷺ وحالها معه فقالت : ما رأيت ذلك منه ، ولا رأي ذلك مني " .

- حرم العلماء نصا دخول الحمام بغير مئزر . وقد روى عن ابن عمر أنه قال : أطيب ما أنفق الرجل درهم يعطيه للحمام في خلوة . وصح عن ابن عباس أنه دخل الحمام وهو محرم بالجحفة . فدخوله جائز للرجال بالمأزر ، وكذلك النساء للضرورة كغسلهن من الحيض أو النفاس أو مرض يلحقهن ، والأولى بهن والأفضل لهن غسلهن إن أمكن ذلك في بيوتهن ، فقد روى أحمد بن محمد بن منيع حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبائن عن سهل بن معاذ عن أبيه عن أم الدرداء أنه سمعها تقول : لقيني رسول الله ﷺ وقد خرجت من الحمام فقال : " من أين يا أم الدرداء ؟ فقلت من الحمام ؛ فقال : " والذي نفسي بيده ما من امرأة تضع ثيابها في غير بيت أحد من أمهاتها إلا وهي هانكة كل ستر بينها وبين الرحمن عز وجل " ، وخرج أبو بكر البزار عن طاوس عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : قال رسول الله ﷺ : " احذروا بيتا يقال له الحمام " . قالوا : يا رسول الله ، ينقى الوسخ ؟ قال : " فاستتروا " . قال أبو محمد عبدالحق : هذا أصح إسناد حديث في هذا الباب ؛ على أن الناس يرسلونه عن طاوس ، وأما ما خرجه أبو داود في هذا من الحظر والإباحة فلا يصح منه شيء لضعف الأسانيد ؛ وكذلك ما خرجه الترمذي .

قلت : أما دخول الحمام في هذه الأزمان فحرام على أهل الفضل والدين ؛ لغلبة الجهل على الناس واستسهالهم إذا توسطوا الحمام رمى مأزرهم ، حتى يرى الرجل البهي ذو الشيبة قائما منتصبا وسط الحمام وخارجه باديا عن عورته ضاما بين فخذه ولا أحد يغير عليه . هذا أمر بين الرجال فكيف من النساء ! لاسيما بالديار المصرية إذ حماماتهم خالية عن المظاهر التي هي عن أعين الناس سواتر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ! .

- قال العلماء : فإن استتر فليدخل بعشرة شروط :

الأول : ألا يدخل إلا بنية التداوى أو بنية التطهير عن الرِّحْضَاء .⁽¹⁾

الثاني : أن يعتمد أوقات الخلوة أو قلة الناس .

الثالث : أن يستر عورته بإزار صفيق .

الرابع : أن يكون نظره إلى الأرض أو يستقبل الحائط لئلا يقع بصره على محظور .

الخامس : أن يغير ما يرى من منكر برفق ، يقول : استتر سترك الله !

السادس : إن دلكه أحد لا يمكنه من عورته ، من سرته إلى ركبته إلا امرأته أو جاريتها . وقد اختلف في الفخذين هل هما عورة أم لا .

السابع : أن يدخله بأجرة معلومة بشرط أو بعادة الناس .

الثامن : أن يصب الماء على قدر الحاجة .

التاسع : إن لم يقدر على دخوله وحده اتفق مع قوم يحفظون أديانهم على كرائه .

العاشر : أن يتذكر به جنهم ، فإن لم يمكنه ذلك كله فليستتر وليجتهد في غض البصر .

ذكر الترمذي أبو عبد الله في نواذر الأصول من حديث طاوس عن عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : " اتقوا بيتا يقال له الحمام " . قيل : يا رسول الله ، إنه يذهب به الوسخ ويذكر النار ؛ فقال : " إن كنتم لابد فاعلين فادخلوه مستترين " . وخرج من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " نعم البيت يدخله الرجل المسلم بيت الحمام - وذلك لأنه إذا دخله سأل الله الجنة واستعاذ به من النار - .

والحياء الذى جعله الله من الفطرة الإنسانية النقية لا يزول عند بعض الناس ، إلا بعد أن يتجراون رويدا رويدا على التعرى تدريجيا ، وبمرور الوقت يعتادون على ذلك ، وإن كنت على يقين أن من يفعل ذلك ، سيظل في قرارة نفسه ، يشعر بالخطأ وأن هناك بصيص من عدم الراحة التامة ، ينبثق من أعماقه فينعكس على تصرفاته ، ويؤثر على مدى راحته النفسية ، لأنه بتركه الحياء يترك الطبع الحيواني يسيطر عليه ، فيبتعد عن الفطرة الإنسانية التى خلقه الله عليها ، وهي التى فيها النورانية والراحة والهدوء النفسى الذى يُشعر المرء بالرضا والاطمئنان.

(1) الرِّحْضَاء : الستر في أثر الحمى .